

المهم والأهم

لفضيلة الشَّيْخ
صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق الحمد، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمّة، فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد؛ فأسأل الله -جل وعلا- لي ولكم الإخلاص والصدق في القول والعمل.

وأسأله أن يجعلنا من أهل البصيرة في أقوالهم وأعمالهم وفيما قام بقلوبهم.

وأسأل الله -جل وعلا- لي ولكم حسن الختام والموت على التوحيد وعلى تحقيق شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثم أمّا بعد؛ فإن هذا الموضوع الذي بعنوان:

المهم والأهم

مما تنافس في إدراكه العلماء والعقلاء؛ لأنه قد قيل في الأمثال السائرة بين العلماء: إن كل إنسان يعرف الخير من الشر؛ لأن الله -جل وعلا- هدى الإنسان إلى النجدين وهما طريقا الخير والشر، قالوا: والعقل هو الذي يعلم خير الخيرين لتحصيل ذلك الأخير وشر الشرين ليجتنب الأشر عند تزاحم الخيرين أو عند توارد الشرين.

الأهم والمهم: مما ينبغي لطالب العلم في نفسه أن يعلمه؛ بل ولكل مسلم أن يعلم ما يحتاج إليه منه، وينبغي للدّاعية أن يعلم ذلك وأن يكون بين عينيه، وكذلك ينبغي للأمر والنّاهي أن يكون رعاية الأهم والمهم أن تكون رعاية ذلك نصب عينه وفي قلبه.

الأهم والمهم مأخوذ من وصية النبي -عليه الصلاة والسلام-، فهو أصل شرعي عليه دليله من الكتاب ومن السنة ومن النظر.

وأصله الواضح من السنة قوله -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تَأْخُذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فتردّ في فقرائهم».

قال إمام هذه الدّعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمته الله في مسائل «كتاب التوحيد» على هذا الحديث: وفيه البداءة بالأهم فالأهم.

رعاية الأهم وتقديمه على المهم أصل شرعي دلّ عليه هذا الحديث، فإن الصلاة أعظم الأركان العملية في الإسلام ولا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة؛ ولكن التوحيد أهم منها، ولهذا بدأ الرسول -عليه الصلاة والسلام- في دعوته بالتوحيد، أمره ربّه بأن يبدأ بذلك وقال له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكِ﴾ [محمد: ١٩]، أمر معاذاً أن يبدأ بالأهم وهو التوحيد ومعاذ داعية.

وهذا ولا شك تقرير لأصل هذه المسألة وهو الأهم مقدّم على المهم، فالصلاة مهمة للغاية فقدّم

عليها في الدعوة التوحيد لأنه الأصل ولأنه زبدة الرسالات الإلهية كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- تفصيل هذه الجملة.

رعاية الأهم ومعرفة المهم مصدرها الشرع، ليست العقول والأقيسة والاجتهادات بغير دليل مصدر ذلك، فقد يكون في الاجتهاد المماثلة؛ ولكن يظهر في نصوص الشرع المفارقة، فانظر مثلاً إلى ركعتي الفجر مع أنها ركعتان كيف كانت مفضلة على الرباعية ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وكيف كانت هذه الصلاة فارقة بين المنافق والمؤمن، صلاة الفجر مثلاً من حيث كونها ركعتين مساوية في الصورة لصلاة النفل ركعتين؛ ولكن مع تساوي الصورة وتساوي القصد -وهو الامتثال-، وتساوي الخشوع والخضوع في الأصل فيهما؛ لكن الله -جل وعلا- جعل ركعتي الفجر -يعني الفريضة- مفضلة على ركعتي الفجر النافلة وعلى أي نافلة هي ركعتان. وهذا يدل على أن التفضيل وبيان الأهم من المهم إنما مصدره الشرع، مصدره النصوص، فإن العقل المجرد قد يظن تساوي هذا وهذا.

كذلك ريال يتصدق به وريال مثله يؤدّيه زكاة، الريال الذي يؤدّيه في الزكاة أفضل من الريال الذي يؤدّيه صدقة مع تساويهما في الإحسان إلى المحتاج ومع تساويهما في القيمة؛ ولكن الله جل وعلا جعل هذا أفضل من ذاك وجعل الزكاة أهم من الصدقة.

كذلك في الحج: حج الفرض يتساوى مع حج النفل في الصورة، في الأعمال، في الواجبات، في الأركان؛ ولكن حج الفرض أهم وأهم من حج النافلة.

كذلك العمرة، كذلك كثير من أعمال الشرع فإنها تتساوى في الصورة، تتساوى في الأعمال، في الأركان والواجبات وربما المستحبات؛ لكن تختلف مقاماتها عند الله -جل وعلا- وما يجب أن يقدم عند التزاحم يختلف، وذلك ومصدر الاختلاف ومصدر التقديم عند المؤمن إنما هو النصوص.

لهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن استعاذني لأعيذنه، ولئن سألتني لأعطينه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له من ذلك».

دلّ الحديث على أن التفضيل وبيان الأهم عند المسلم مصدره الشرع مصدره النصوص، وهذا تبع لأصل عام وهو كما يقول العلماء: أن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها وجاءت لتقليل المفاسد أو درئها، جاءت الشريعة بتكميل المصالح وتحصيلها وجاءت بتقليل المفاسد أو درئها ودرئها أيضاً.

هذه القاعدة العظيمة معناها أن المصالح تحقيقها جزء من الشرع؛ بل غرض الشارع تحقيق المصالح أو استكمال المصالح.

وإذا تقرر هذا، فإن المصالح الشرعية إنما تكون من أحد طريقتين:

الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ: أَنْ يُنَصَّ فِي الشَّرْعِ عَلَى الْمَصْلُحَةِ أَوْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الشَّرْعِي ظَاهِرًا بَيْنًا فِي أَمْرٍ مَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَحَيْثُ جَاءَ النَّصُّ فَالْمَصْلُحَةُ ثُمَّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، حَيْثُ جَاءَ النَّصُّ فَالْمَصْلُحَةُ ثُمَّ، فَإِذَا جَاءَنَا النَّصُّ الشَّرْعِي فَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ فَهُوَ الْأَهَمُّ وَهُوَ سَبِيلُ الْمَصْلُحَةِ.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: أَنْ لَا يَعْلَمَ النَّصُّ، أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ حَادِثَةً، أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ مُجْتَهِدًا فِيهَا، فَهَذَا يَجْتَهِدُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِحَسَبِ الْمَصْلُحَةِ، فَمَا كَانَتْ الْمَصْلُحَةُ فِيهِ أَتَمَّ وَأَكْثَرَ فَإِنَّا نَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّرْعَ أَرَادَ تَحْقِيقَ الْمَصَالِحِ أَوْ تَكْمِيلَ الْمَصَالِحِ، إِذَا كَانَ ثُمَّ مَفْسُدَةً فَإِنَّ الشَّرْعَ يَرِيدُ بِتَشْرِيعِهِ - مِنْ مَقَاصِدِ الشَّارِعِ فِي أَحْكَامِهِ - أَنْ يَدْرَأَ الْمَفَاسِدَ أَوْ أَنْ يَقْلِلَهَا، فَإِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرُ وَلَا نَصَّ فَإِنَّ رِعَايَةَ الْمَصَالِحِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الشَّرْعِ وَإِنْ دَرَأَ الْمَفَاسِدَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الشَّرْعِ.

إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَإِنَّ رِعَايَةَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَمْيِيزَ الْمُسْلِمِ، فَضْلًا عَنِ الدَّاعِيَةِ، فَضْلًا عَنِ طَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ تَمْيِيزَهُ بَيْنَ الْمَهْمِ وَالْأَهَمِّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَقَاصِدِ الَّتِي لَا بَدَّ أَنْ يَحْرُسَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ وَالدَّاعِيَةُ وَطَالِبُ الْعِلْمِ وَالْعَالَمُ أَيْضًا؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا يُنْقِضُ الْمَرَّةَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ. وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّ الصُّورَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَهْمٌ وَأَهَمٌّ، إِنَّ الْحَالَاتِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَهْمٌ وَأَهَمٌّ، يَجِبُ فِيهَا أَنْ يُقَدَّمَ الْأَهَمُّ عَلَى الْمَهْمِ.

وَمَعْرِفَةُ الْأَهَمِّ وَالْمَهْمِ مَصْدَرُهَا الشَّرْعُ فِيهَا جَاءَتْ النُّصُوصُ بِهِ، أَوْ مَصْدَرُهَا اجْتِهَادُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا جَاءَ بِهِ اجْتِهَادُ الْعُلَمَاءِ؛ يَعْنِي فِي النُّوَازِلِ.

فَمِنْ الْمَسَائِلِ الَّتِي فِيهَا أَهَمٌّ وَمَهْمٌ وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَا تَفِي بِهَا هَذِهِ الْعُجَالَةُ = أَنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ وَسَائِرِ الْفَرَائِضِ هَذِهِ تَحْصِيلُهَا مَهْمٌ؛ وَلَكِنْ تَحْصِيلُ التَّوْحِيدِ أَهَمٌّ. وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ تَنْفَعُ الْمُسْلِمَ فِي إِقْبَالِهِ بِالْحَيَاةِ حَيْثُ إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَهَمَّ التَّوْحِيدَ، وَأَنَّ الشَرَائِعَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ مُسْتَفَادٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ؛ وَأَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَدَّمَ التَّوْحِيدَ عَلَى غَيْرِهِ فِي الدَّعْوَةِ، وَكَذَلِكَ قَدَّمَ التَّوْحِيدَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ» فَالتَّوْحِيدُ أَهَمٌّ.

يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ يَحْرُسَ الْمُسْلِمُ عَلَى تَصْحِيحِ عَقِيدَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ أَعْظَمَ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي فُرُوعِ صَلَاتِهِ وَأُمُورِهِ، نَعَمْ إِنْ إِيْتَانَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ وَاجِبَ عَلَيْهِ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ عَنْ تَوْحِيدٍ؛ وَلَكِنْ تَنْقِيَةُ التَّوْحِيدِ وَتَعْلُمُ التَّوْحِيدِ وَمَا يَضَادُ التَّوْحِيدَ أَهَمٌّ مِنْ تَعْلَمُ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ بِالتَّوْحِيدِ يُثَبَّتُ الْمَرْءُ فِي السُّؤَالِ عِنْدَ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ قَبْرِهِ فَإِنَّ الْمَقْبُورَ يَسْأَلُ فِي قَبْرِهِ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ كُلِّهَا فِي التَّوْحِيدِ، عَنْ ثَلَاثَةِ أَصُولَ كُلِّهَا فِي التَّوْحِيدِ وَهِيَ: مَنْ رَبُّكَ؟ - يَعْنِي مَنْ مَعْبُودُكَ؟ - مَنْ نَبِيُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟

وَإِذَا صَلَحَ تَوْحِيدُ الْمُسْلِمِ كَانَ مَا بَعْدَهُ عَلَى رَجَاءِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ.

فِي حَقِّ كُلِّ مُسْلِمٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَعَى أَنَّ التَّوْحِيدَ أَهَمُّ الْمَهْمَاتِ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهُ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مَهْمٌ؛ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا قَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا وَلَكِنَّهُ لَيْسَ فِي مَنْزِلَةِ التَّوْحِيدِ، يَتَفَرَّعُ عَنْ ذَلِكَ الْأَحْكَامُ الَّتِي يَصْدُرُهَا الْمُسْلِمُ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْمَجْتَمَعَاتِ أَوْ مِنَ الدُّوَلِ أَوْ مِنَ الْأَوْضَاعِ أَوْ مِنَ الدَّعَوَاتِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ

العمدة في ذلك رعاية الأهم وهو القيام بحق الله على العباد ألا وهو التوحيد، والقيام بنفي ضد ذلك ألا وهو الشرك.

فإن ترك المعاصي ترك المحرمات ترك الكبائر مهم وأهم منه ترك الشرك والبعد عن الشرك لأن الشرك لا يغفر، والمعاصي إذا كانت واقعة من مسلم موحد فإنها على رجاء الغفران. هذا ينفع المسلم فيها يأتيه ويذره، ينفعه في تقيمه للأمر، ينفعه في تقيمه للأموال والأوضاع، فهذه المسألة عظيمة الأهمية.

المسألة الثانية أن الدعوة إلى الله -جل وعلا- مهمة، ورعاية فقه الأولويات فيها أهم، الله -جل وعلا- أمر بالدعوة فقال لنبيه: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الحج: ٦٧]، وقال لنبيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

والنبي -عليه الصلاة والسلام- حث على الدعوة في أحاديث كثيرة ومنها قوله -عليه الصلاة والسلام- لعلي في الحديث المتفق عليه الذي رواه سهل بن سعد الساعدي (رضي الله عنه): «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم» يعني من الإبل الحمراء التي كان يتنافس فيها العرب في اقتنائها لعظم قيمتها، أمر الدعوة معلوم أهميته، معلوم قدره، معلوم فضل من عاناه وزاوله في أخص خاصته أم في أمر العامة، معلوم أهمية أمر الدعوة على سبيل الأفراد أو على سبيل الجماعات؛ ولكن من المهم في الدعوة أن يُرعى فقه الأولويات فيها.

معنى فقه الأولويات أن يُبدأ في الدعوة بالأولى فالأولى، نبه على ذلك؛ بل أوضح ذلك نبينا عليه الصلاة والسلام في رسالة لداعية من دعاة الإسلام وهو معاذ بن جبل (رضي الله عنه) حيث قال له: «فليكن أول ما تدعوهم إليه» هذا فيه بيان لفقه الأولويات في الدعوة. الدعوة إلى شرائع الإسلام مطلوبة كلها مهمة.

الدعوة إلى نفل مهم، الدعوة إلى مستحب مهم؛ ولكن الدعوة إلى الفرائض أهم. الدعوة إلى ترك المكروهات مهمة؛ ولكن الدعوة إلى ترك الموبقات والكبائر والمعاصي أهم. الدعوة إلى ترك الصغائر مهمة؛ ولكن الدعوة إلى ترك الكبائر أهم. الدعوة إلى الإتيان بالفرائض العملية مهمة ولكن الدعوة إلى التوحيد أهم. يعني أن الدعوة مترتبة بترتيب أولوياتها هناك شيء مهم، هناك شيء أولي؛ ولكن هناك شيء أولى منه، وهكذا.. فمراتب الدعوة متنوعة، مراتب الدعوة درجات.

وهذا إنما يظهر بالفقه في حال المدعوين، وهذا يختلف باختلاف البلاد، فهناك اختلاف البلاد؛ بل واختلاف الأحوال والأشخاص، فالبلد التي يظهر فيها الشرك لا يعلم أهلها حق الله -جل وعلا- عليهم، فإن أول ما يدعى أهلها إليه أن يدعوا إلى حق الله -جل وعلا- الأعظم عليهم وهو أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً، وهذه هي زبدة رسالات المرسلين جميعاً ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦] وهذا من أعظم ما يرمى.

يكون الدّاعية في بلد يجهل أهلها بالعقيدة الصحيحة، يجهل أهلها التوحيد، فهذا يبدأ بهم بهذا الأمر الأعظم، ويدرجهم فيه الأهم فالأهم، كما قال الشيخ رحمه الله في مسأله: وفيه البداء بالأهم فالأهم. والدعوة إذا تركت رعاية فقه الأولويات فإنها لا تصل إلى مبتغاها؛ لأنها قد فاتها الاتباع للنبي -عليه الصلاة والسلام-، والنبي -عليه الصلاة والسلام- في دعوته رعى الأولويات رعاية تامة، فدعوته في مكة معلومة تفصيلها، ثم دعوته في المدينة معلومة تفصيلها أيضا. دعوة الأفراد -أيضا- يبدأ فيها بالأهم فالأهم، ما يأتيه المرء من الواجبات الشرعية يبدأ فيه بالأهم فالأهم.

مثلا يأتي المرء ويبدل جهده وحسن خلقه؛ بل ويبدل من ماله لمن يدعوه خارج بيته، وربما هو في داخل بيته لا يبدل حُسن خلق، لا يبدل مالا للدعوة، وهؤلاء أعني من بداخل البيوت بشر ومن هم خارج البيوت بشر، والجميع الدُّخول إلى قلوبهم الدخول بطريقة واحدة؛ يعني في أصولها، رعاية البيوت أهم من رعاية من هم خارج البيوت، ولهذا تجد أن طائفة يدعون الناس خارج البيوت إلى أحسن ما تكون الدعوة في رعاية وحسن خلق وبذل مال وبذل عطاء ونحو ذلك؛ ولكن هم في بيتهم لا يبدلون ذلك مع أن نصيحة من في البيوت وتربية من في البيوت واجبة، ونصيحة من هم خارج البيت بيت المسلم ليست بواجبة إنما هي مستحبة على العين وقد تجب على الكفاية.

الله -جل وعلا- قال لنبيه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

فإن البداءة في الدعوة مهمة من حيث الأشخاص، بمن تبدأ في دعوتك، والفشل كل الفشل أن يفشل المرء مع قرابته وأهله؛ ولكنه تجده مع الأصدقاء أو من الزملاء أو مع من يعاشرهم ناجحا، كيف صار ذلك؟ هذا من جرّاء عدم رعاية الأولويات والواجبات الأهم فالأهم، وإلا لو رأى ذلك لكان بذله وحسن خلقه عطائه في بيته أعظم مما يفعله من ذلك خارج بيته. نسأل الله -جل وعلا- لنا ولأهلينا ولذرارينا التوفيق والهداية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهم؛ لأن الله -جل وعلا- أمر به في كتابه فقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ولكن رعاية ما توجبه الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم من الإتيان بمطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولهذا يذكر علماء السنّة في عقائدهم فصلاً متعلقاً بالأمر بالمعروف والنهي وهو ما يسمى بمنهج معاملة الخلق، قال شيخ الإسلام مثلاً في «العقيدة الواسطية» في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة قال: وهم مع ذلك يأمرون -يعني مع العقائد التي ذكرها في عقيدته- بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة. لأن الأمر والنهي قد ادّعاه كثيرون، وادّعته الخوارج، فإن الخوارج فيما فعلوا إنما فعلوا مريدين لتحقيق فرض الأمر والنهي، ادّعته المعتزلة فيما فعلوا، ادّعته الرافضة فيما فعلت، وهم في ذلك مجانبون لحسن الأمر والنهي، ولا يكون الأمر والنهي حسناً حتى يكون موافقا لما

توجهه الشريعة، ولهذا قيده شيخ الإسلام في الواسطية بقوله: وهم مع ذلك يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجهه الشريعة.

فإذن رعاية الأمر والنهي مهم؛ ولكن رعاية ما توجهه الشريعة في الأمر والنهي أهم.

ولهذا قال العلماء: ليكن أمرك بالمعروف من المعروف، وليكن نهيك عن المنكر بمنكر، وقال شيخ الإسلام في رسالته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من لم يتبين له وجه الترجيح بين المصالح والمفاسد فليس له الحق أن يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ميدانه واسع، يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الأفراد، يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى البلد، يدخل فيه الأمر والنهي على مستوى المجتمعات، يدخل فيه الأمر والنهي على ما هو أعظم من ذلك.

فالأمر والنهي يُحمد ومطلوب وواجب في الشرع؛ ولكن أهمّ منه أن يكون الأمر بالمعروف بالمعروف وأن يكون النهي عن المنكر ليس بمنكر، ولهذا قال: (على ما توجهه الشريعة)، فهذا القيّد أهم من الإتيان بالأمر والنهي.

ولهذا شرط العلماء في الأمر الناهي أن يكون عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، عالما بتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وغير ذلك من الشروط.

ولهذا نستفيد من هذه أن الأمر والنهي إذا كان مهما، فأهم منه فقه الأمر والنهي، معرفة ما توجهه الشريعة في ذلك؛ لأنّ هذا به تصلح الأحوال.

أرأيت أن رجلا لم يرع ذلك كيف سيخرجه عدم رعايته لما يوجهه الشرع من الأمر والنهي إلى أمور مخالفة لما أَرادَه الله -جل وعلا- وأَرادَه رسوله ﷺ.

من معاملة الناس: يأتي إلى رجل لا يصلي أصلا فيأمره بالوتر، يأتي إلى رجل لا يصلي أصلا فيأمره بأحد المستحبات، أو يأمره بأمر من الأمور الأخرى من الذكر في الصباح والمساء، يأتي إلى رجل لا يحضر الصلاة فينهاه عن مشاهدة النساء، نعم نهيت وأمرت؛ ولكن ما رعت فقه الأمر والنهي؛ لأنّ القلوب جعلها الله -جل وعلا- تقبل الحق شيئا فشيئا، لا تقبله جملة، وتترك الشر جملة، وإنما في الغالب أن تقبله شيئا فشيئا.

فإذن الإتيان بشروط الأمر والنهي هذا به يحصل المقصود.

يتفرع عن هذا الأصل فرع آخر ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وجماعة، وهو أنّ الغيرة على دين الله مهمة؛ ولكنّ الأهم أن تكون الغيرة مضبوطة بضوابط الشرع وبأدلة الشرع.

يقول ابن القيم رحمه الله في المدارج: إذا انغلق على المرء باب الغيرة على دين الله انغلق على قلبه محبة الله، وإذا انغلقت عن قلبه أبواب محبة الله انغلق عن قلبه باعث العمل الصالح، وإذا فقد العمل الصالح قرب من كل شر وسوء.

فالغيرة على دين الله، على محارم الله، على حدود الله، على الإسلام وأهله، هذا أمر واجب ومطلوب، وبه تفتح أبواب الخيرات على قلب العبد المؤمن؛ ولكن أهمّ منه أن تكون هذه الغيرة

الواجبة قامت في القلب على وفق ما أرشد إليه الشرع.

الفرق التي ضلّت في باب معاملات الصحابة، وفي باب معاملته الولاة، وفي باب معاملته المسلمين من حيث تكفير العصاة، ومن حيث تضليل الأمة ونحو ذلك أتى لهم ما قالوه أو فعلوه أو اعتقدوه من جهة الغيرة، كانوا أصحاب غيرة على دين الله، غاروا على القرآن، غاروا على الإسلام؛ ولكن غيرتهم لم تكن على وفق الشرع فصارت باطلة قادتهم إلى السوء.

ولهذا قال العلماء: إن الغيرة تكون محمودة وتكون مذمومة، فإذا كانت على وفق الشرع كانت محمودة، وإذا كانت على وفق الهوى كانت مذمومة.

وهذا الباب باب واسع، نعم الغيرة أمرها مطلوب؛ بل بها يفتح على القلب المؤمن الأعمال الصالحة ومحبة الله جل وعلا.

النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يغار على حرّامات الله، يُرى في وجهه الغضب على حرّامات الله، والله -جل وعلا- أغير على حرّاماته من خلقه، إن الله -جل وعلا- يغار أن يزني عبده أو أن تزني أمته، والنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يغار على حرّامات الله وكل مؤمن متّبع للنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يغار الغيرة الشرعية.

ولكن افرق الناس في هذه الغيرة، منهم من غار غيرة محمودة، ومنهم من غار غيرة مذمومة. منهم من غار الغيرة المذمومة فقادته إلى مخالفة أمر الله في المنهج والسلوك والمواقف مع الناس ومع الجماعات ونحو ذلك، فيجب أن تكون الغيرة على وفق الشرع.

الغيرة بمنهج أهل السنة والجماعة مطلوبة وواجبة؛ لكن الأهم منها أن تكون الغيرة على عقيدة أهل السنة والجماعة على ما أصّله أهل السنة والجماعة، فإن الغيرة عليها قد تنحرف بالمرء إلى مهاوي الردى بأن يغار على وفق هواه، وتكون غيرته ناتجة عن سوء فهم، ويكون قصده صحيحاً ولكن يكون فعله....

وقد كان في الأمة من هؤلاء كثير في كل زمن، فأهل السنة بين الغالي والجافي؛ منهم من غلا ومنهم من جفا، والمحقّقون المتابعون للسنة والجماعة بين هذا وهذا.

فالغيرة على الدين، الغيرة على التوحيد، الغيرة على عقيدة أهل السنة والجماعة، الغيرة على علماء الإسلام، هذه يجب أن تكون على أصولها، وهذا أهم؛ لأنها إن لم تكن على أصولها الشرعية قادت أصحابها إلى مهاوي الردى والعياذ بالله، ضلوا فأضلوا، أو زلوا فأزلوا، ولهذا كان دعاء العلماء وأخص الدعاء بالعلماء أنهم يقولون في دعائهم عند خروجهم من بيوتهم؛ بل وفي كل حال: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَزَلَ أَوْ نَزَلَ، أَوْ نُضِلَّ أَوْ نُضِلَّ، أَوْ أَنْ نَجْهَلَ أَوْ يَجْهَلَ عَلَيْنَا. هذا من الدعاء العظيم؛ لأنه بالزلزل يحصل الخلل والمرء يجب عليه أن يتابع الشرع في ذلك كله.

إصلاح الظاهر بالمتابعة سنة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مهم؛ ولكن إصلاح الباطن بالإخلاص أهم؛ لأن المتابعة منها ما هو واجب ومستحب، وأما الإخلاص فهو واجب، والإخلاص هو تصفية القلب من إرادة سوى الله -جل وعلا- بالقول أو بالعمل أو بالاعتقادات يخلّص القلب عن إرادة ما

سوى الله جل وعلا.

إن الاتباع الظاهر للنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وإن صلاح الظاهر مهم؛ ولكن إصلاح الباطن بحسن المعاملة والتعامل وصدق التعامل مع الله -جل وعلا- هذا أهم؛ لأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب، فكم من إنسان لم يصلح قلبه وكان ظاهره صالحاً، ثم ضل بعد ذلك لأجل عدم رعايته لصلاح قلبه، وقد قال العلماء في الحديث الذي جاء فيه أن «الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، ورجل آخر يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

قال العلماء: من عمل بعمل أهل الجنة في الظاهر ثم ختم له بسوء الخاتمة، الغالب في هؤلاء أنهم لم يصلحوا باطنهم، وإنما كان ظواهرهم صالحة وأما بواطنهم ففيها من الشكوك والشبهات والشهوات ما الله بها عليم.

فالواجب على العبد أن يرعى ظاهره لأنه مهم، ويرعى ما هو أهم من ذلك برعاية باطنه وهو قلبه بإصلاحه وإخلاص القصد والعمل والوجه لله جل وعلا.

ولهذا قال تعالى فيمن ادعوا الجنة: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] بين أن البرهان صلاح الباطن وصلاح الظاهر، وقدم صلاح الباطن على صلاح الظاهر لأهميته وقال سبحانه بعد هذه الآية ﴿بَلَىٰ ۚ يَعْنِي سِيَدُ الْجَنَّةِ ۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] من أسلم وجهه لله بالإخلاص وهو ومحسن وهو متابع للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو محسن بقوله وفعله.

طلب العلم وتعليم العلم مهم، ورعاية التدرج فيه أهم، إن طلب العلم مهم، العلماء رفع الله قدرهم في الدنيا وفي الآخرة قال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] قال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، طلب العلم مهم «أغد عالماً أو متعلماً»، تعليم العلم مهم، وأهم منه أن يكون ذلك التعلم والتعليم على وجه التدرج، ممثلاً فاعل ذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال أبو عبد الله البخاري في «صحيحه»: الرّبانيون هم الذين يُربُّون الناس بصغار العلم قبل كباره.

من المهم أن تطلب العلم؛ لكن أهم من ذلك أن تطلب العلم على تدرّج، تأخذ المسألة فالمسألة، تأخذ الأولى فالأولى، تأخذ المرتبة الأولى ثم تصعد درجة إلى ما هو أصعب وهكذا، قال أبو شهاب الزهري فيما رواه ابن عبد البر في «الجامع» ورواه غيره قال: من رام العلم جملة ذهب عنه جملة؛ ولكن يطلب العلم على مر الأيام والليالي.

... الذي حصّله العلماء الراسخون، لا بد إن كنت من محبي العلم أن تسير في طلب العلم على التدرّج؛ بالعناية بالمتون، العناية بأوائل العلوم، ثم تتدرّج، لم تحسن الأوائل فتذهب إلى الكتب

المطوّلة، لم تحسن الحكم حكماً بدليله، معرفة المسألة بدليلها، فتذهب إلى اختلافات العلماء والأقوال في ذلك، هذا الإخلال بالتدرّج يحجب عنك الوصول إلى مبتغاك في العلم.

تعليم العلم مهم، وأهمّ منه أن يجعل طالب العلم الذي يعلّم العلم أو العالم الذي يعلم العلم درسه على قاعدة التدرّج، يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، إذا علّمهم الألف والباء والتاء والثاء، فإنهم بعد ذلك سيتعلمون تركيب الجمل؛ يعني إذا علّمهم المسائل الأولى في التوحيد المختصرات فيه، المختصرات في العقيدة، المختصرات في الفقه، بعد ذلك سيتقلّون إلى مرحلة أكبر، سيكون التدرّج كبناء البناء، إنما يكون شيئاً فشيئاً، وإذا جمعت للبناء عدّته من جميع أصناف ما يحتاج إليه ورسمت هذه على هذه دون تدرّج، فإنك لا تصل إلى بغيتك، والله - جل وعلا - خلق السموات والأرض في ستة أيام، قال بعض أهل التفسير: ربنا - جل وعلا - قادر على أن يخلق ذلك وأعظم منه بكلمة، على أن يخلق ذلك في لحظة؛ ولكن خلق ذلك في ستة أيام لحكم كثيرة، منها أن يعلّم خلقه الذين يشهدون هذا الملكوت أن الأمور العظام إنما تكون بالتدرّج وبرعاية الأمور وبرعاية الشيء فالشيء.

كثيرٌ منا من يُعلم العلم، كثيرٌ منا من يتعلّم العلم؛ لكن إن فاتت المنهجية فات التدرّج فاتك خير كثير؛ لأن العلم بالأهم فالأهم.

يطلب الناس العلوم وهي كثيرة، هذا تجده يطلب السيرة، وذاك يطلب الحديث، يخرج الحديث يعرف الصحيح من السقيم والرواة والتجريح والتعديل، وذاك يعلم تفاصيل في مسألة ألف رسالة؛ بل رسائل في مسائل؛ ولكنه لا يعلم مسائل التوحيد بأدلتها، لا يعلم مسائل عباداته التي يزاولها بأدلتها، هذا فاته أن يرعى الأهم، نعم إن طلب العلم مهم، وجميع العلوم المستحبّ منها والواجب كلها مهمّة؛ لأنها من الشرع؛ ولكن العلم درجات، والأهم يقدر على المهم.

ولهذا تجد أن كثيرين من طلاب العلم في هذا الوقت، تجد أنهم يقرؤون كثيراً، ولا يحصلون كثيراً، يحصلون ماداموا قريبين من القراءة؛ لكن ما أسسوا العلم على أصوله؛ لأنه فاتهم الأهم وهو التدرّج.

فإذن هذه قاعدة وهي أن طلب العلم مهم؛ ولكن التدرّج في طلبه أهم، إن التعليم - تعليم العلم - مهم؛ ولكن التدرّج في ذلك التعليم أهم.

نقول أيضاً: إنّ طالب العلم ينبغي لهم أن يحرصوا على من يعلمهم صغار العلم قبل كباره، يحرصون على من يبدأ بهم بالأصول بالمتون، يأتي آتٍ ويقول: فلان الشيخ أو العالم أو طالب العلم ليس عنده تفصيل في المسائل، نعم إنّ عدم تفصيله الطويل في المسائل هذا هو الذي زينه وهذا هو الذي ينفعك؛ لأنّ طالب العلم المعلم لا يأتي للمتعلّمين بكل ما عنده، وإنما ينشئهم خطوة خطوة وإلا لو أتى بما عنده فإنه يمكنه أن ينظر في الكتب ويأتي لهم بالمسألة الواحدة بما يدوم معهم إلى عشرين جلسة مثلاً، يؤلف منها كتاباً يعرض الأقوال فيها كثيرة يوصل في المسألة الواحدة إلى خمسة أقوال تسعة أقوال عشرة أقوال؛ بل إلى أربعين قولاً في بعض المسائل، هذا ليس هو العلم.

العلم إحكام الأصول وإحكام مقاعد العلم، العلم بالقواعد، العلم بالأولويات حتى إذا علمت الأول، بعد ذلك يأتي إليك الثاني وقد تمرن ذهنك على الأول، فيرتقى ذهنك في إدراك العلوم، نعم إن

طلب العلم مهم ولكن التدرج فيه أهم، إنَّ التعليم مهم؛ ولكن التدرج في التعليم أهم. ثم إنَّ الإخلاص في ذلك جميعاً مهمٌ ومهمٌ ومهم، وأيضاً أهم من كثرة الإلقاء، أهم أن يكون العبد مجاهداً نفسه في الإخلاص.

قال العلماء: ضابط الإخلاص في العلم أن ينوي رفع الجهالة عن نفسه، سئل الإمام أحمد كيف يكون طالب العلم ذانية في العلم؟ فقال: يكون طالب العلم ذانية في العلم إذا نوى رفع الجهالة عن نفسه. يطلب العلم ليرفع الجهل عن نفسه، أتى بالإخلاص فيه، بالنية الصالحة فيه، يرفع الجهل عن نفسه ليعلم أمر الله ونهيه، ليعلم ما أخبر الله في كتابه وما أخبر به النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في السنّة من العقائد وأخبار الغيب ليعتقد ذلك، هذه نية صالحة.

المعلم فتيته الصالحة بأن ينوي رفع الجهل عن غيره وعن نفسه؛ لأنه إذا علم فإنه سيستفيد هو ويفيد غيره.

إذن فهذا الإخلاص في العلم، الإخلاص في التعلّم، الإخلاص في التعليم، هذا مهم للغاية. إنَّ إرشاد الناس مهم؛ ولكن ضبط الكلمات في إرشادهم أهم، نعم إنَّ الداعية يلقي الكلمات ويحاضر، إن العالم يبين الحق ويوضح المقال، وذلك كله مهم لأنه واجب في الشرع على الكفاية ويستحب في حق الأكثر؛ ولكن الأهم أن يتنبه الملقى لكلماته، لأن المتلقي للكلمات قد يحمل المجملات على فهمه هو؛ فيحمل فيها على غير مراد المتكلّم، وقلة الكلام وضبط الكلام أولى من كثرة المسائل والفروع دون رعاية لما يأتي وما يذر حسب الاستطاعة.

هذه القاعدة مهمة، أنت في لقاء مع إخوانك فيما تتكلم، فيما تنقل فيه مع العلماء، وفيما تنقل منه من الدعاة، وليكن تعبيرك سليماً، لا تعبّر بما تفهم دون تدقيق، كذلك المتكلم إذا تكلم يتنبه إلى أن يكون كلامه دقيقاً حتى لا يُحمل على غير ما يريد.

إنَّ طلب الحق مهم، وإن الاعتراف بالخطأ أهم، إنَّ إرشاد الناس إلى الحق أمر مهم، وقد يخطئ المرشد ويخطئ الداعية فيما يرشد الناس إليه، فرجوعه عن خطئه أهم، ولهذا لما أفتى أحد علماء السلف في مسألة في الحج بفتوى أخطأ فيها، كان يظن أنه مصيب، ثم بعد ذلك أرشد إلى دليل في المسألة فرجع عن قوله فيها فاستأجر منادياً ينادي في فجاج منى: من أفتاه فلان فليقبل، من أفتاه فلان في مسألة فليقبل، حتى إذا اجتمعوا أخبرهم برجوعه عن كلامه.

نعم إن المراجعات مهمة، إن الاعتراف بالخطأ مهم؛ لأنه يجعل المرء في نفسه يعلم أن نفسه تخطئ، وأنه ليس بمعصوم عن الخطأ، وكذلك يزيد في قدره عند الآخرين؛ لأن كل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون.

هذه أصول مجملّة مختصرة؛ لكن فيها إرشاد وبيان لمسائل أحسبها مهمّة؛ لأنّها ضوابط والضوابط تعصم العقل من الخطأ، وكذلك تعصم العمل من الضلال، وكذلك تعصم اللسان من الافتراء، فإن معرفة العبد الحقوق الشرعية والضوابط الشرعية بأدلتها هذا مهم وأهم للغاية؛ لأنه عند الاشتباه يحصل كثير من الزلل.

بقي أن نقرر قاعدة وهي أن هذه التقاسيم من مهم وأهم، هذه إنما تستفاد من أهل العلم؛ لأنني ذكرت أن موردها ودليلها النصوص وليس العقل والاستحسان، فتقسيم الأشياء، تقسيم مراتب الأمور الشرعية ومراتب ما يزاوله المرء، هذا إذا كان فيه نص فإن العلماء يبينون الأهم فالمهم من ذلك. فإذا اشتبه على المرء المسلم ذلك فإن عليه أن يرجع إلى العلماء، حتى يبينوا له مراتب ذلك فيسير على بينة من أمره.

هذا وأسأله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد والهداية والرشاد، وأسأله جل وعلا أن ينفعني وإياكم بما سمعنا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد.



[الأسئلة]

هذه بعض الأسئلة وستكون -إن شاء الله تعالى- الإجابة عليها مختصرة لأجل أخذ كثير منها.

سؤال (١٠): هل من الأهمية في طلب العلم أن يقرأ الإنسان في كتب أهل السنة والجماعة ويترك الكتب التي كتبها من عليه ملاحظة في عقيدته وتطرح ولا يرجع إليها؟

الجواب: إن العلم لا بد أن يؤخذ عن مأمون في عقيدته، وكتب أهل السنة والجماعة كفيلة بهذا. وأما الكتب العصرية فإنها لا يحتاج إليها في العلم، إنما هي من جهة الثقافة والإطلاع على ما في العصر أو على الأفكار أو على التحليلات ونحو ذلك.

أمّا العلم من حيث هو فإنما يؤخذ عن كتبه التي بها تعلّم العلماء وتخرج العلماء.

هذه الكتب لا بأس من مطالعتها -الكتب العصرية- لكن بشروط:

منها أن يكون المطالع عنده تمييز في عقيدته بين الحق والباطل؛ لأنه ربما قرأ كتباً فيها تعبير من الباطل ولم يلحظ هذا، فكم رأينا من قرؤوا كثيراً من هذه الكتب العصرية شاع على ألسنتهم بعض العبارات التي تخالف العقيدة الصحيحة ممن مثل: (شاءت الأقدار)، ونحو ذلك من العبارات التي فيها مخالفة، أو من مثل ما هو أعظم من ذلك من سؤال صفات الله ومناداتها ك: يا رحمة الله، يا عفو الله. أو ما شاكل ذلك.

أنا ذكرت هذا الشرط وبقية الشروط نذكرها على وجه الاختصار:

الثاني: أن يكون الكتاب ليس متمحضاً للفساد، ليس متمحضاً للضلال، أما إذا كان متمحضاً للضلال فهذا لا تجوز قراءته أصلاً، أما إذا خلط فيه حق وفيه باطل فهذا يقرؤه من يميز بين هذا وهذا.

الثالث: أنه إذا قرأ ذلك قصره على نفسه، وإذا كان في هذه الكتب بعض حق فإنه يأخذها إذا دل عليها الدليل، يأخذ الحق ولا يدل على الكتاب الذي قرأ فيه تلك الأمور من لا يحسن التفرقة بين الحق والباطل؛ لأنه إذا دله عليه ربما ضره ذلك في دينه.

يقول.. هذا نفس السؤال: هل المهم للداعية أو لطالب العلم أن يقرأ في الكتب العصرية؟

سؤال (٠٢): انتشرت في الآونة الأخيرة بين الشباب الصحوة ما قد علمتم من الخلاف، وانقسم الشباب إلى طوائف شتى، وقد -والله- احترت مع من أكون وأين الحق ومع من هو، ثم هل يبرر هذا الخلاف انقسام الشباب، فأسألكم أن تقولوا في هذه المسألة لي قولاً شافياً.. إلى آخره.

الجواب: إنَّ الفتن إذا وقعت والمشتبهات إذا حلت فإنما يعلم الفصل فيها أهل العلم الرَّاسخون، وهذا الانقسام الذي حصل هو من جرّاء مخالفة أوامر الله؛ لأنَّ الله -جل وعلا- يعاقب من خالف أمره بالفرقة، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾ يعني بأن يتبعوا وأن يلتزموا بالحق ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ النسيان بمعنى الترك، فتركوا حظاً مما ذكروا به، عندهم الأدلة واضحة عندهم البيّنات التي ذكروا بها فتركوا ذلك مع العلم به، عاقبهم الله -جل وعلا- بالفرقة فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤].

وإذا كان العلم سهل الحصول، كان العلم قريباً كانت الحجج واضحة بيّنة، ثم خالف فيها من هي عنده تركوها مع قربها يعاقب الناس بالفرقة فيما بينهم بقدر ما تركوا، وهذه ذكر بها شيخ الإسلام رحمه الله في موضع وهو تنبيه مهم، فإنه من نتيجة الالتزام بالدليل وبأمر الله يحصل الاتفاق والاجتماع، والاجتماع رحمة، وبمخالفة الحق بعد العلم به تحصل العقوبة، ومن العقوبة الفرقة والاختلاف.

هذه الفرقة وهذا الاختلاف يجب أن يعامل المرء فيه نفسه ومن حوله بالعدل، والعدل كان في طريقة العلماء الرَّاسخين الذين لهم في ذلك الكلمات الشافية منهم؛ بل إمامهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى، وكذلك سماحة الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله تعالى، وكذلك بقية مشايخنا فطريقتهم هي الطريقة التي من اعتصم بها إن شاء الله أنه ناج؛ لأنها على وفق العلم وعلى وفق الأصول الشرعية، وما قالها من قالها إلا عن علم وبصيرة.

أسأل الله أن يطفى الفتن وأن يجمع قلوب الدعاة على دينه، وأن يجعلنا جميعاً من المحييين؛ لأهل الحق وللعلماء وللدعاة ومن المسددين لهم في أقوالهم وأعمالهم.

سؤال (٠٣): تقول: إن التوحيد هو أهم شيء، فهناك من يقولون: إن عقيدة التوحيد تشرح في عشر دقائق، فماذا تقولون؟

الجواب: إن عقيدة التوحيد تشرح في أقل من عشر دقائق؛ لأن عقيدة التوحيد هي معنى الشهادتين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فإذا شُرحتا هاتان الكلمتان فهم التوحيد؛ لكن كما قال الإمام علي (عليه السلام): العلم نقطة كثّرها الجاهلون. العلم أصله قليل لمن فقهه، ولهذا كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة، كما قال ابن رجب في كتابه «فضل علم السلف على الخلف».

نعم إن بيان التوحيد قليل النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لمن يفهم معنى كلمة التوحيد: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» لأنهم يعلمون معنى هذه الكلمة لكن لما شاع الجهل وكثر الجهال أصبحوا لا يفهمون التوحيد في هذا الزمن اليسير، لما كثر المخالفون للتوحيد، كثر المخالفون لعقيدة السلف

الصالح في الصفات وفي الإيمان وفي القدر وفي الموقف من الصحابة وفي الموقف الحق من الأمر والنهي وفي الموقف من ولاية الأمور والأئمة ونحو ذلك من مباحث الاعتقاد، احتاج العلماء إلى أن يبينوا العقيدة الصحيحة في أيام؛ بل في شهور؛ بل في سنين؛ لأن المخالفين كثروا ولأن التشويه كثير، فاحتاج العلماء لأن يبينوا العقيدة في أوقات كثيرة.

نعم إنها في الأصل في زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- تبيينها بكلمة يعلم المرء ما تشمل وما تضاد؛ ولكن في مثل هذا الزمن؛ بل في الأزمنة التي فشا فيها الشرك وفشت فيها الفرق الضالة وفشا فيها الضلال بأنواعه، لا يمكن أن يبصر الناس بالتوحيد إلا بعد بيان أصول وأصول وشرح كتب وكتب حتى يتبين له الحق من الضلال وحتى يتبين له الموقف الصواب من غيره، والله أعلم.

سؤال (٤٠): هل من المهم للمسلم البحث عن مثالب الناس وعيوبهم وإظهارها، وأنه مقدم على رجوع الإنسان إلى نفسه؟

الجواب: الواجب على المسلم أن يعتني نفسه إصلاحاً عليك نفسك فتش عن معايها وخلّ عن عشرات الناس للناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، إظهار عيوب الناس لا يجوز؛ بل ستر عيوب المسلمين واجب «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» ثبت ذلك في الحديث الصحيح، أما الأمر والنهي فهذا واجب أو مستحب بحسب الدرجات التي أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام.

سؤال (٥٠): لي بعض الزملاء في العمل بلغت بهم الجراءة أن يدعوا المتمسكين بالسنة بالفجرة وإيذاء الصالحين بالكلام والغمز واللمز.

ماذا ترى شيخنا مع هؤلاء مع أننا بذلنا ما في وسعنا ولكنهم لم ينتصحو، أنرفع بهم إلى الجهات المسؤولة أم ماذا نفعل تجاههم، قد آذونا مع العلم أننا لا نستطيع مفارقتهم، ومع هذا فإنهم يا شيخ لا يحرصون على الصلاة.

الجواب: نسأل الله -جل وعلا- لنا ولهم الهداية، الصبر، لا تملوا النصيحة، لا تملوا الإرشاد تذكر قول الله جل وعلا: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كُنتُمْ عَلَيْهِ كُفْرًا فَتَوَلَّوْا إِلَى الْكُفْرِ مِنْكُمْ وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]، ليس بعزيز على الله أن يصلح أشد الناس كفراً، فأنت احتسب وادع لهم في أوقات الخلوة واصبر عليهم لعلهم أن يهتدوا، إذا أمكن أن لا يظهروا ذلك الكلام برفع أو تأديب فإن هذا متعين؛ لكن فيما بينك وبينهم عليك بالدعوة والصبر والدعاء لهم في ظهر الغيب لعل الله جل وعلا أن يهديهم.

سؤال (٦٠): نحن جماعة مسجد اختلفنا حول عمال يحضرون الصلاة وهم بملا بس العمل فمنا من قال، إلى آخره.

الجواب: هذا سؤال من قبيل الفتوى، وما كان من قبيل الفتوى فإني لا أجيب عليه؛ لأنه لا يفتى ومحمد في غيبة.

سؤال (٧٠): حيث إنكم أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إمام الدعوة إلى الكتاب

والسنة في هذه البلاد، أرجو إرشاد الشخص الذي جاء إلى هذه البلاد من بلد مجاور مسلم ولكن في بلده متعلقون بالقبور والأضرحة والتمسح بها والذبح عندها فما هو الطريق لإصلاحهم.

الجواب: الطريق لإصلاحهم من جهتين:

الجهة الأولى: التعليم.

والجهة الثانية: الترغيب والترهيب وبيان مآل هؤلاء ومآل هؤلاء .

أما من جهة التعليم فهذا واضح، وهو أن التوحيد يحتاج إلى التعلم، والناس في تلك البلاد كما قد خالطت بعضهم، يجهلون معنى التوحيد.

مثلاً إذا سألته عن معنى (لا إله إلا الله) ظن أن معناها لا رب موجود إلا الله، والربوبية غير الألوهية؛ لأن الله - جل وعلا - قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) وبين أن المشركين يقرّون أن الله هو ربكم وأنه هو خالقهم ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿[المؤمنون] فهم يوقنون بأن الله هو الرب وحده؛ ولكن الابتلاء وقع في تعلق القلب هل للمرء أن يتوجّه بالسؤال للموتى وللأوثان وللأصنام للصالحين؟ فالله - جل جلاله - بين أن عيسى - عليه السلام - أدعى إليها، وأن اللات هو رجل صالح كان يلت السويق يحسن إلى الناس فلما مات عكفوا على قبره كان اتخذه الناس وثناً اتخذوا قبره وثناً واتخذوا له صورة وجعلوها صنماً، وهكذا، كان الناس يشركون لا في الربوبية ولكن في الألوهية باعتقادهم أن هذه الأوثان والأصنام وأن أصحابها يرفعون الحاجات إلى الله قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] يعني يقولون كما قاله أهل التفسير: والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني ما نعبد تلك الأشياء ما نعبد الأولياء ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، ما نعبدهم استقلالاً، نعلم أنهم بشر، ولكن نريد أن يرفعوا بحاجتنا إلى الله لأن لهم المقام العالي عند الله.

ذكرهم بالآيات، أتل عليهم القرآن وفسر لهم القرآن، فسر لهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(١٣) إن تدعوهم لا يسمعون دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ^(١٤) [فاطر]، قال الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ يعني ما يملكون في قبورهم ولو قطمير اللقافة التي تكون على نواة التمر ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(١٣) إن تدعوهم لا يسمعون دُعَاءَكُمْ لم؟ لأنهم أموات كما قال: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١١) [النحل] فإذا هناك آيات كثيرة في القرآن فيمن يبعث، في ميت ليس بحي، وهذه ظاهرة لو تليت على أولئك لتنبهوا إن كان - جل وعلا - مريدا بهم خيراً.

فاتل عليهم الآيات، وعلمهم وبين لهم ذلك، ثم بعد ذلك أسلك معهم طريقة الترغيب والترهيب والتخويف، والترغيب والتخويف من عاقبة الشرك، وبيان فضل التوحيد على أهله بعد التعليم بمعنى

(١) سورة: غافر، الآية (٦٥)، الزمر، الآية (٧٥)، يونس، الآية (١٠)، الفاتحة، الآية (٢).

الشهادتين، معنى التوحيد، العبادة لا يجوز صرفها إلا لله، معنى التوحيد وأنه حق الله ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] ونحو ذلك من الآيات.

واسأل الله لك ولهم الهداية، فإن الله جل وعلا قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه فلا تبخل بالهداية.

سؤال (٥٨): لاشك - والله الحمد - أن هذه البلاد تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ ورزقه من ذريته من يسير على طريقته. - جزاك الله خيرا. -

والملاحظ أن الناس إذا كلمتهم في أمور العقيدة قالوا: عقيدتنا سليمة، إذا نظرنا إلى الواقع تحيرنا، الولاء والبراء هل هي من أمور التوحيد، فهل يكون التوحيد سليما، ونحن نجد أن معظم المؤسسات والناس يقربون الكفار والبوذيين والنصارى ويعدون أهل الإسلام.

الجواب: الولاء والبراء هو معنى كلمة التوحيد، حقيقة كلمة التوحيد هو الولاء والبراء. سأل رجل من طلاب العلم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ فسأله قال: هل الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد أم هو أمر خارج عنها - يعني واجب مستقل -؟ فقال: وأسفا على العلم الذي عندك، أنك لم تعرف مكانة الولاء والبراء في دين الله، والولاء والبراء هو (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، كلمة التوحيد ولواء وبراء. قال - جل وعلا - في سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴿٦٣﴾ [الزخرف]، والكلمة التي أبقى في عقب إبراهيم هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله ونفسيرها قوله: ﴿وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٦٢﴾ براءة من المعبودات ومن الشرك والكفر وموالاة وولاء لله ولدينه ولتوحيده.

الولاء والبراء معناه الحب والبغض، الواجب منه الذي من فقدته فقد الإسلام أن يبرأ من الشرك بمعنى أن يبغض الشرك، وأن يوالي التوحيد بمعنى يحب التوحيد.

أن يبرأ مما يعبد المشركون بمعنى يبغض المعبودات كما قال هنا: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يعني أني مبغض للذي تعبدون، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فإنني غير متبرئ منه ولكن محب.

فإذن محبة الله وبغض للآلهة، طبعاً إذا كانت عبدة وهي راضية إذا كانت من الأصنام والطواغيت ونحو ذلك، محبة للإسلام وبغض للشرك، هذا قدر واجب، من لم يحب الإسلام فإنه ليس على التوحيد، من أحب الإسلام وأحب الشرك فإنه قد خرم ولواء وبراءه.

بعد ذلك تكون أمور واجبة؛ لكن تركها معصية ليس تركها قادحا في التوحيد وهو محبة أهل الإسلام وبغض أهل الشرك يعني أعيان المشركين، إذا لم يبغض أعيان المشركين بأعيانهم فهذا فيه تفصيل، وهذا قد يطول الحديث عنه لأن الولاء والبراء يحتاج إلى تفصيل طويل.

المقصود من السؤال أن تضبط الولاء والبراء الذي تركه كفر، الولاء الواجب الذي هو من الإسلام والتوحيد؛ بل هو الإسلام والتوحيد هو المحبة؛ محبة الإسلام ومحبة الله، والبراء الذي هو قرينه بغض الشرك وبغض معبودات المشركين، وهذا قدر من لم يأت به فليس بمسلم لأنه ناقض أصل الولاء

والبراء .

ومما بعد ذلك ذكره السائل هذا فيه تفصيل، فالذي يأتي بالمشركون يأتي بالكفار هذا صاحب معصية محرم، الواجب عليه أن يوالي في الله وأن يعادي في الله هؤلاء إذا كان المستقدم لهم لا يحب الشرك ومعبودات المشركون وإنما أتى بهم لنفع فإن هذه معصية من المعاصي، إذا تبع ذلك مادة لهم ونحو ذلك وكان ذلك لغير مصلحة شرعية فإن ذلك معصية والمسألة فيها تفصيل.

سؤال (١٠٩): إن أهم المهمات هو التوحيد فما هي الكتب والشروح والأشرطة التي تفيد في تعلم هذا الأصل العظيم؟

الجواب: التوحيد قسمان: توحيد علمي خبري، وتوحيد عملي إرادي. التوحيد العلمي الخبري هذا هو الذي يسمى العقيدة - عقيدة أهل السنة والجماعة - هذا له كتب خاصة.

والتوحيد العلمي الإرادي هو التوحيد - الذي ضده الشرك - العملي هذا هو توحيد العبادة. هذا وهذا يحتاج إلى تعلمه تعلم التوحيد الذي ضده الشرك نعلم العقيدة الصحيحة التي ضدها العقيدة الباطلة.

أما العقيدة الصحيحة فهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأهم الكتب فيها «لمعة الاعتقاد» وخذ شرحا لها لأحد علماء هذه البلاد، وكذلك كتاب «الواسطية» وخذ شرحا له، وتسلسل في كتب العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِيهَا بيان ذلك على وجه التفصيل. كتب التوحيد توحيد العبادة أقربها وأولها «كتاب ثلاثة الأصول» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ و«كتاب التوحيد» أيضا له، وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وما شابه هذه الكتب مع شروحها ك«تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد»، وشرح «فتح المجيد» ونحو ذلك من الشروح.

سؤال (١٠): هل هناك فرق بين التوحيد والعقيدة؟

الجواب: التوحيد قسمان كما ذكرت وبه يظهر التفرقة بين التوحيد والعقيدة، وهما متلازمان التوحيد والعقيدة بمعنى واحد؛ لكن عند التصنيف يختلف ذلك.

سؤال (١١): الناس - والله الحمد - في مجتمعنا عقيدتهم سليمة وعلى الفطرة؛ ولكن يحتاجون إلى تعلم الفقه وهل يبدأ لهم بالتعلم في التوحيد أو بالفقه في الدين؟

الجواب: العلم بالتوحيد وتعليم بالتوحيد أولا، العقيدة أولا، والتوحيد أولا؛ لأنه يراد منه صلاح القلب وأيضا يحدث الخوف من الشرك، وبقاء ذلك في الناس، هذا بقاء لدين الله في الناس، ولا يقدم عليه الفقه، ونحن نرى أن كثيرا من الشريكات بدأت تشر في الناس في مجتمعنا، فلا يقال: إننا لا نحتاج إلى التوحيد، ألا ترون أن السحرة والكهنة كثر تسامع الناس بأحوالهم، ألا أن التطير وأن التمايم كثر تعليقها، تجد في السيارات صور حيوانات، حذوة فرس، جلدة فيها عين، يأتي في باب بعض البيوت رأس فيه حيوان محنط أو نحو ذلك أو عليها حذوة فرس أو رسمة عين.. هذه كلها من التمايم التي هي من

الشرك الأصغر، ألا ترون وجود التماثل مربوطة أو ربط خيط أو نحو ذلك، ألا ترون أن مولاة أعداء الله ومودتهم وتكريمهم ونحو ذلك.. هذه كلها أمور مخالفة للعقيدة والتوحيد.

فلا بد تعليم التوحيد فيه وبقاء للتوحيد، ولا بد أن نخاف من الشرك، فمن خاف سلم ونبي الله ورسوله إبراهيم -عليه السلام- دعا ربه بقوله: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم] قال إبراهيم التيمي من علماء السلف الصالحين الأئمة قال لما تلى هذه الآية: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم. فإبقاء التوحيد وتدريسه وتعليمه هذا فيه التخويف من الشرك، والشرك أسرع ما يكون في الناس، وتذكروا قول النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح في الصحيحين وغيرهما «لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى»، «لا تقوم الساعة حتى لا يذكر الدجال» يغفل الناس عن ذكر هذا الأمر، هذه المسألة من مسائل العقيدة ذكر الدجال والاعتقاد فيه يغفلون عن ذلك لا يعلمونه فيخرج في غفلة من ذكر الناس له ومن تحذيرهم منه، لا يخرج الدجال حتى لا يحذر منه، لا يخرج إلا في غفلة، كذلك الشيطان يأتي إلى الناس إذا غفلوا عن الأمر، التوحيد والفقه قرينان وابن القيم قال في العلم:

والعلم أقسام ثلاث مالها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للديان
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي	جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق	بسواهما إلا من الهذيان

إلى آخر كلامه، فالعلم بحق الله بالتوحيد والعلم بالشرائع بالأمر والنهي والعلم بالجزاء، التوحيد والفقه مقترنان يعلم هذا وهذا؛ لأن في التوحيد إصلاح الباطن وفي الفقه إصلاح الظاهر وكل منهما مهم والتوحيد أهم.

أختم بهذا، وأسأل الله -جل وعلا- لي ولكم التسديد في القول والعمل، وأسأله أن يعفو عنا برحمته، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّحَ وَلَاةَ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ .
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ وَلَاةَ أُمُورِنَا وَاهْدِهِمْ إِلَى الرِّشَادِ وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَبِيلِ الْبَقْيِ وَالْفَسَادِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ صَلَاحًا فِي قُلُوبِنَا وَصَلَاحًا فِي أَعْمَالِنَا .
اللَّهُمَّ نَوِّرْ بَصَائِرِنَا، اللَّهُمَّ نَوِّرْ بَصَائِرِنَا فِي أَقْوَالِنَا وَفِي أَعْمَالِنَا وَفِي اعْتِقَادَاتِنَا، نَسْأَلُكَ أَنْ تَمِيتَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَحْيِيَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ .

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

